بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- بابُ الإخلاصِ وإحضارِ النِّيَّة

في جميعِ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ البارزةِ والخفيَّةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٢٩].

(١/١) وعن أمير المؤمنين أبي حَفْصٍ عمرَ بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّىٰ بن رِيَاح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رَزَاح بن عَدِيِّ بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غَالِب القُرشِيِّ العَدَوِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق علىٰ صحته؛ رَوَاهُ إِمَامَا المُحَدِّثِينَ، أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْن إبراهِيمَ بْن المُغِيرَةِ بنِ بَرْدِزْبه الجُعْفِيُّ البُخَارِيُّ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري رضي الله عنه فِي صحيحيهما اللَّذَيْنِ هما أَصَحُّ الكُتبِ المصنفةِ.

(١/٢) وعن أُمِّ المؤمنينَ أُمِّ عبد الله، عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ (أي: مكان بين مكة والمدينة) مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ». قَالَتْ: قلتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ (أي: الرعية وأوساط الناس) وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(١/٣) وعن عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا (أي: إذا طلب منكم النصرة والعون فأجيبوا واخرجوا للإعانة)». متفق عليه.

وَمَعناهُ: لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ؛ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسلَامٍ.

(١/٤) وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ». رواه مسلم.

ورواهُ البخاريُّ عن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فقال: «**إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا** (أي: وهو الطريق بين جبلين) **وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

(٥/ ١) وعن أبي يَزيدَ مَعْنِ بنِ يَزيدَ بنِ الأخنسِ رضي الله عنه، وهو وأبوه وَجَدُّه صحابيُّون، قَالَ: كَانَ أبي - يَزيدُ - أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فأَخذْتُها فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فقالَ: واللهِ، مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ. فَخَاصَمْتُهُ إِلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**». رواه البخاري.

(٦/ ١) وعن أبي إسحاقَ سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ مالِكِ بنِ أُهَيْبِ بنِ عبدِ مناف بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابِ ابنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ، القُرشِيِّ الزُّهريِّ رضي الله عنه، أَحَدِ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنةِ، قَالَ: جاءَنِي رسولُ الله ﷺ يَعُودُنِي (أي: يزورني وأنا مريض) عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي قَدْ بَلَغَ بي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَىٰ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلا يَرِثُنِي إلا ابْنَةٌ لي، أفأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لا**». قُلْتُ: فَالشَّطْرُ (أي: النصف) يَا رَسُولَ الله؟ فقَالَ: «**لا**». قُلْتُ: فالثُّلُثُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ - أو كَبِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ** (أي: تترك) **وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً** (أي: فقراء) **يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ** (أي: يطلبون حاجاتهم من الناس)، **وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي** (أي: فم) **امْرَأَتِكَ**». قَالَ: فَقُلتُ: يَا رسولَ الله، أُخلَّفُ (أي: أُترَك) بعدَ أَصْحَابي (أي: سأل سعدٌ النبيَّ ﷺ ذلك السؤال لأنه كره أن يتخلَّف فيموت في مكة وقد خرج منها مهاجرًا إلىٰ الله ورسوله)؟ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّىٰ يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ** (أي: تمِّم) **لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ**». يَرْثِي لَهُ (أي: يحزن عليه) رَسُولُ الله ﷺ أَنْ ماتَ بمَكَّةَ. متفق عليه.

(٧/ ١) وعن أبي هريرةَ عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالىٰ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**». رواه مسلم.

(٨/ ١) وعن أبي موسىٰ عبدِ الله بنِ قيسٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقاتِلُ شَجَاعَةً ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً (أي: تعصبًا لقومه) ويُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذلِكَ في سبيلِ الله؟ فقال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**». متفق عليه.

(٩/ ١) وعن أبي بَكْرَةَ نُفَيع بن الحارثِ الثقفيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ». قُلتُ: يا رَسُولَ الله، هذا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ». متفق عليه.

(١٠/ ١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا (أي: وهو عدد بين الثلاث إلىٰ التسع) وَعِشْرِينَ دَرَجَةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ: لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّىٰ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فإذا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيهِ. مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. وقوله ﷺ: «يَنْهَزُهُ» هُوَ بِفَتْحِ اليَاءِ والهَاءِ وبالزَّاي، أَيْ: يُخْرِجُهُ ويُنْهِضُهُ.

(١١/ ١) وعن أبي العبَّاسِ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما: عن رَسُول الله ﷺ فيما يروي عن ربهِ تباركَ وتعالىٰ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ (أي: عزم علىٰ فعلها) فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إِلىٰ سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ إِلىٰ أَضعَافٍ كَثِيرةٍ، وإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا (أي: خوفًا من الله) كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». متفق عليه.

(١٢/ ١) وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ (أي: وهو اسم يُطلق علىٰ جماعة الرجال ما بين الثلاثة والعشرة) مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لَا أَغْبِقُ (أي: ما كنت أُقدِّم عليهما أحدًا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح) قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ (أي: بَعُد) بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ (أي: أرجع) عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أو مالًا، فَلَبِثْتُ

والْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِي أنتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّىٰ بَرَقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ (أي: يبكون ويصيحون) عِنْدَ قَدَمِيَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ. فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ. قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إليَّ».

وفي رواية: «كُنْتُ أُحِبُّها كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النساءَ- فأَرَدْتُها عَلَىٰ نَفْسِهَا (أي: أردت أن أغصبها نفسها لأُجامِعها) فامْتَنَعَتْ منِّي، حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ (أي: وقعت في ضائقة وشدة) فَجَاءتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمائةَ دينَارٍ عَلَىٰ أنْ تُخَلِّيَ بَيْني وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعَلَتْ، حَتَّىٰ إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا».

وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا- قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ (أي: كناية عن الفرج والبكارة) إلَّا بِحَقِّهِ (أي: بالزواج المشروع)، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيْتُها. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ. فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عبدَ الله، أَدِّ إلَيَّ أجْرِي. فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الإبِلِ وَالبَقَرِ والْغَنَمِ والرَّقيقِ. فَقَالَ: يَا عبدَ الله، لَا تَسْتَهْزِئ بي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنهُ شَيئًا. اللَّهُمَّ إنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ. فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». متفق عليه.

❊ ❊ ❊

(الإخـــــلاصُ)

قال اللهُ تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. **وقال تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]. وعن أبي أُمَامة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ رجلًا غَزَا يلتمسُ الأجرَ والذِّكر (أي: يطلب به الثواب من الله والاشتهار بين الناس): ما له؟ قال: «لَا شَيْءَ له». فأعادها الرجلُ ثلاثًا، كلَّ

ذلك يقول النبيُّ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثم قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ». النسائي برقم (٣١٤٠)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٨٥٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، مَن أَسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ قَبْلَكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ. يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ». البخاري برقم (٦٥٧٠). قال مَكْحُولٌ رحمه الله: ما أخلص عبدٌ قطُّ أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه ولسانه. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا أخلص العبدُ انقطعت عنه كثرةُ الوساوس والرِّياء (أي: انشغاله بنظرة الناس إليه).

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله: العملُ بغير إخلاص ولا اقتداء (أي: بهَدْي النبيِّ ﷺ) كالمُسافِر يملأ جِرَابه رملًا ينقله ولا ينفعه. (والجراب: إناء من الجلد يضع فيه المسافر ما لديه من زاد للسفر).

قال أحد الأولياء: أخلِصِ النِّيَةَ في أعمالك يَكْفِكَ القليلُ من العمل. وقال يحيىٰ بن مُعاذ رحمه الله: الإخلاص يُميِّز العملَ (أي: ينقيه) من العيوب كتمييز اللَّبَن من الفَرْث (أي: الأمعاء والأحشاء) والدَّم.

وقال بعضُ الصالحين: في إخلاصِ ساعةٍ نجاةُ الأبد، ولكن الإخلاص عزيزٌ (أي: قليل وصعب). وقال أيضا: العلم بَذْرٌ، والعمل زَرْعٌ وماؤه الإخلاص.

وقال أيضا: * مُرَاد الله من عمل الخلائق الإخلاصُ فقط. وقال الجُنَيد رحمه الله: إن لله عبادًا عَقَلوا (أي: فهموا مراد الله تعالىٰ)، فلما عَقَلوا عَمِلوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلىٰ أبواب البرِّ أجمعَ.

وقال أيضًا: إذا أبغض اللهُ عبدًا أعطاه ثلاثًا ومنعه ثلاثًا: أعطاه صُحبة الصالحين ومنعه القبولَ منهم، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها.

وقال ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ». النسائي برقم (٣١٧٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٣٨٨). وقال ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ وَالسَّنَاءِ (أي: ارتفاع المنزلة)، وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ». أحمد (٥/ ١٣٤) برقم (٢١٢٥٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٢٥).

وقال ابن قُتَيبة في كتابه «عيون الأخبار»: حاصَرَ مَسْلمةُ بن عبد الملك حِصنًا، وكان في

ذلك الحصن نَقْبٌ (أي: ثَقْبٌ في الحائط) فندب (أي: شجع) الناسَ إلىٰ دخوله فما دخله أحدٌ، فجاء رجلٌ من عُرُضِ الجيش (أي: من عامَّته غير معروف) فدخله ففتح الله عليه الحِصنَ، فنادىٰ مَسْلمةُ: أين صاحبُ النَّقب؟ فما جاءه أحدٌ، فنادىٰ: إني قد أمرتُ الآذن بإدخاله ساعةَ يأتي، فعزمتُ عليه (أي: فأقسمت عليه ورجوته) إلا جاء. فجاء رجلٌ إلىٰ الآذن فقال: استأذِن لي علىٰ الأمير. فقال له: أنت صاحب النَّقب؟ قال: أنا أُخبركم عنه. فأتىٰ الآذنُ إلىٰ مَسْلمة فأخبره عنه فأذن له، فقال الرجلُ لمسلمة: إن صاحبَ النَّقب يأخذ عليكم (أي: يشترط) ثلاثًا: ألا تُسَوِّدوا اسمه (أي: لا تكتبوه في صحيفةٍ إلىٰ الخليفة)، ولا تأمروا له بشيءٍ (أي: كمنحة)، ولا تسألوه ممن هو(أي: من أيِّ قبيلةٍ هو). قال مَسْلمة: فذاك له. قال الرجل: أنا هو. فكان مَسْلمة بعد هذه لا يُصلِّي صلاةً إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النَّقْب.

إخلاصُ النيةِ لله تعالى: قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في كتابٍ أرسله إلىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه: مَن خلُصت نيَّتُه كَفَاه اللهُ ما بينه وما بين الناس(أي: فلا ينشغل بمداهنتهم وطلب الأجر منهم)، ومَن تزيَّن بما ليس في نفسه شانَه (أي: عابه) الله؛ فإن اللهَ تعالىٰ لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنُّك بثوابٍ عند الله في عاجلِ رزقه وخزائن رحمته.

فإذا خَلُصت نيةُ العبد لله تعالىٰ، وكان قَصْدُه وهمُّه في عمله ابتغاءَ مرضاة الله تعالىٰ أيَّده الله وأعانه. قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨].

فرأسُ التقوىٰ والإحسان هو إخلاص النية لله تعالىٰ في إقامة الحق، واللهُ سبحانه وتعالى لا غالب له، فمن كان الله في عونه ونصره فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟! وممن يخاف؟! وإن لم يكن الله في عونه فمَن يرجو؟! وبِمَن يثق؟! وبمن ينتصر؟! فإذا قام العبدُ بالحقِّ علىٰ نفسه وغيره، وكان مخلصًا في ذلك لله تعالىٰ، لم تقف أمامه عقبة، ولو كاده خلائقُ عِظَامٌ لكفاه اللهُ وجعل له مخرجًا من كلِّ كرب. أما إذا كان قيامه في نفسه وغيره بالباطل لم يُمكَّن له في الأرض ولم ينصر، وحتىٰ لو نُصِر ظاهرًا فهو نصرٌ زائف لا عاقبة له.

وإن قام العبدُ في نفسه وغيره بالحقِّ من دون إخلاصٍ، وإنما لطلب الحمد والجزاء من الناس، أو للوصول إلىٰ غرضٍ دنيويٍّ محض، وكان القيامُ بذلك الحقِّ هو السبيلَ إليه- فلا يضمن نصر الله؛ فإن اللهَ تعالىٰ ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله وقاتل لتكون

كلمةُ الله هي العليا، فمن كان وُسِم واتصف بذلك خرج من المتقين والمحسنين وكان من المرائين المنافقين. وحتىٰ لو قُدِّر له النصرُ فإنه يكون بحَسَبِ القَدْر الذي هو عليه من الحق، فيكون النصر علىٰ حَسَبِه. وعلىٰ هذا فإذا عزم العبدُ علىٰ فِعْل أمرٍ ما فعليه أوَّلًا أن يعلم هل هو طاعةٌ لله أم لا، فإن لم يكن طاعةً لله فلا يفعله، إلا أن يكون عملًا مباحًا فيستعين به علىٰ الطاعة، ومن ثم يُحتسب عندئذٍ طاعةً؛ لأن حكم الأمور عند الله بمقاصدها، وهذه قاعدة عظيمة مُفرَّع عليها من الأحكام ما لا يمكن حَصْره.

وقول عمر رضي الله عنه: فَمَن تزيَّن (أي: ادَّعَىٰ) بما ليس فيه شَانَهُ اللهُ (أي: جعله معيبًا بين الناس)، فهذا هو المنافق الذي يُظهِر للناس أمرًا ويُبطِن في سرِّه خلافَه؛ ولذلك فإن الجزاء من جنس العمل: فالمُخلِص يُعجَّل له ثوابُ إخلاصه في عمله حلاوةً يجدها في قلبه ومحبةً ومهابةً في قلوب الناس، وأما المُتزيِّن بما ليس فيه وهو المنافق فعقوبتُه أن اللهَ يفضحه بين الناس؛ لأنه خالف سرُّه علانيتَه، فأبطن لله خلافَ ما يُظهر للناس، فكان جزاؤه أن أظهر اللهُ عيوبَه للناس جزاءً من جنس عمله. والإخلاص في الطاعة كما قال العلماء: تَرْكُ الرياء. وقالوا أيضًا: الإخلاص هو تخليص القلب من كلِّ شائبة تُفسد صفاءه.

وحقيقةُ الإخلاص هو التبرؤ من كلِّ ما دون الله تعالىٰ، فالإخلاص في الدين هو التبرؤ مما يدعيه اليهودُ من التشبيه، وما يدعيه النصارىٰ من التثليث؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

قال ابن تيميَّة رحمه الله: فالإخلاص لله هو أصل الدين، وقاعدته هي أصل الأصول، وقاعدة الدين في سورتي «الإخلاص» و«الكافرون»؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١].

فهي- أي سورة «الكافرون»- متضمِّنة توحيد الأعمال (أي: نية وقصد العبد) والعبودية لله وحده، فجميع الأعمال يجب أن تكونَ لله وحده، كالصلاة والدعاء والحج والذبح والنذر، وغيرها من الأعمال. وهي إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة (أي: بأن يقصد بالعمل إرضاء الله فقط لا غيره)، فهي توحيد العمل والنية توحيدًا عمليًّا. أما سورة الإخلاص فهي توحيد الله بالعلم والقول (أي: أن يعلم ذلك يقينًا بقلبه ويتلفظ به قولا بلسانه)، فالسورة تتضمن التوحيد القولي والعِلميَّ.

حقيقة الإخلاص: كل شيء يُتصور أن تشوبه الشوائب، فإذا صفا وتخلَّص من الشوائب خلص وسمي خالصًا، فالشيء الخالص هو الشيء الصافي الذي لا تشوبه الشوائب ولا يُخالطه شيءٌ آخر؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل: ٦٦]. والصافي هو الذي لا شائبة فيه، أما الخالصُ فهو الذي كانت فيه شوائبُ ثم زالت عنه فسمي خالصًا بعد ذلك.

الفرق بين المُخلَص والمُخلِص: أما المُخلَص فقد قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٤٠]، فالمُخلَصون هم الذين اختارهم الله ﷻ، فهم المختارون، كالأنبياء والمرسلين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم: ٥١].

أما المُخلِص فهو المُوحِّد الله ﷻ في عبادته؛ ولهذا سُمِّيت كلمة التوحيد كلمةَ الإخلاص، ومنها سُمِّيَت سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورةَ الإخلاص؛ لأنها خالصة في صفة الله تعالىٰ؛ ولأن المتلفظ بها قد أخلص في توحيده الله ﷻ.

قال أبو بكر المَرْوزي رحمه الله: سمعتُ رجلًا يقول لأحمد بن حنبل وذَكَر له الصدقَ والإخلاص، فقال له ابن حنبل: بهذا ارتفع القوم.

وسُئل ذو النون المصري رحمه الله يومًا: فيمَ يجد العبد الخلاص؟ فقال: الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تَخلَّص. وقال: من صحح (أي: اتبع السنة) استراح، ومن صَفَّىٰ (أي: أخلص) صُفِيَ له.

وقال سفيان بن عُيَينة رحمه الله: ما أخلص عبدٌ لله أربعين يومًا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه نباتًا، وأنطق لسانَه بها، وبصَّره عيوبَ الدنيا داءها ودواءها.

وقال أبو يزيد: مَن سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهمًا يُكلِّم به الناس، ومَن سمعه ليُعامل به الله رزقه الله فهمًا يُناجي به ربَّه.

وقال سَهْل التُّسْتَري رحمه الله: ما مِن عبد دخل في شيء من السُّنَّة (أي: من أعمال الشريعة الصحيحة) وكانت نيَّته متقدمة (أي: تسبق العمل) في دخوله لله إلا خرج الجهل من سرِّه، شاء أم أبىٰ، ولا يعرف الجهلَ إلا فقيه زاهد عابد حكيم، ولا يبلغ العبدُ حقيقة علم النية حتىٰ

يُدخله الله في ديوان أهل الصدق ويكون عالمًا بعلم الكتاب وعلم الآثار (أي: أقوال الصحابة وأهل العلم) وعلم الاقتداء (أي: السنة الصحيحة).

وقال يحيىٰ بن معاذ الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: من أشخص (أي: توجه خالصًا) بقلبه إلىٰ الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت علىٰ لسانه.

وقيل لحمدون بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما بالُ كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلَّم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.

الأعمالُ المُتعلِّقةُ بالنيةِ: حينما يسمع الإنسان حديثَ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**» [متفق عليه] يتبادر إلىٰ الذهن أن جميعَ الأعمال تندرج تحت هذا الحديث، ومن ثم يستفيد العبد من كلِّ عملٍ حسَب نيته في ذلك.

والحقيقة أن جميعَ الأعمال يُمكن تقسيمها إلىٰ: **معاصٍ، وطاعات، ومباحات.**

١- المعاصي: فأما المعاصي فلا تنقلب إلىٰ طاعة أبدًا، مهما تغيرت النية. مثال ذلك: من أراد أن يغتاب إنسانًا لإدخال السرور علىٰ قلب غيره من الناس، أو أن يُطعم فقيرًا من مال مسروق، أو أن يبني مسجدًا بمالٍ حرام قاصدًا وناويًا الخير، فهذا من الجهل، فإذا كان عارفًا ومدركًا لذلك صار من المعاندين والمستهزئين بالشرع الحكيم، فالخير لا يُعرف إلا عن طريق الشرع، وليس بهوىٰ النفس، فلا يكون الشرُّ خيرًا أبدًا حتىٰ ولو كانت النية حسنة.

يقول سَهْلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عُصي الله بمعصية أعظم من الجهل (أي: يعني: مع الإصرار عليه). فسُئل: هل تعرف شيئًا أشدَّ من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل (أي: يجهل الجاهل أنه جاهل)؛ وذلك لأن الجهلَ بالجهل يَسُدُّ طلب التعلم بالكلية علىٰ الإنسان، فكيف يطلب العلم من ظنَّ بنفسه أنه عالم؟! ولهذا فإن أفضل ما أطيع الله به هو العلم، ورأسُ العلمِ العلمُ بالعلم (أي: يعلم العبد قيمة العلم).

ولهذا قيل: إن من قَصَد الخير بمعصيةٍ عن جهل فهو غير معذور، إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعدُ مهلةً للتعلم.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

وقيل في الأثر: «**لَا يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَىٰ جَهْلِهِ**». رواه الطبراني في الأوسط.

ولهذا فقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» إنما يختص بالطاعات والمباحات دون المعاصي، فالطاعة قد تنقلب إلىٰ معصية بالقصد والإرادة، والمباح قد ينقلب إلىٰ معصية أو إلىٰ طاعة كذلك بالقصد والإرادة. أما المعصية فلا تنقلب إلىٰ طاعة أبدًا، حتىٰ ولو قصدنا ذلك، والنية فيها قد تُضاعِف الضرر والإثم، وقد تدخل فيها نِيَّاتٌ أخرىٰ سيئة من استهزاءٍ بالشرع الحنيف وما إلىٰ ذلك.

٢- الطاعات: هنا أمران يجب التنبُّه إليهما:

أ- أن الأصل في الطاعات أن يقصد بها العبد وينوي عبادةَ الله تعالىٰ، بأن يقصد بها إرضاء وجهه الكريم لا غير. كقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه.

فإذا قصد ونوىٰ مراءاة الناس انقلبت والعياذ بالله إلىٰ معصية.

ب- أن الطاعاتِ من الممكن مضاعفتُها إلىٰ أضعافٍ كثيرة إذا استطاع العبدُ أن ينويَ بالطاعة الواحدةِ خيراتٍ كثيرةً، فيكون له بكل نيةٍ ثوابٌ، وكلُّ ثوابٍ يُضاعَف عشرةَ أمثالِه. مثال ذلك: الجلوس في داخل المسجد، فهو طاعة، ولكن يمكن للمرء أن ينوي به نياتٍ كثيرةً حتىٰ يصير بها من المقربين إلىٰ الله عز وجل، من ذلك:

أ- أن ينويَ أن هذا بيتُ الله، فيقصد به زيارةَ ربِّه فيه. فعن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ فَهو زائر الله، وحقٌّ علىٰ المزور أن يُكرم الزائر». ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ١١٥) برقم (٣٤٦١٧)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١١٦٩).

ب- أن ينويَ انتظارَ الصلاة بعد الصلاة، كما قال في الحديث: «فذلكمُ الرِّباط». مسلم برقم (٢٥١).

جـ- أن ينويَ الاعتكاف، ليكف أعضاءه عن المعصية أو الغفلة.

د- أن ينوي أن يختليَ بربِّه؛ ليذكره وليتفكر في نعمه وآلائه.

هـ- أن ينويَ أن يستفيدَ من العلم إن كان هناك تعليمٌ.

و- أن ينويَ أن يُعلِّم غيرَه ممن يحتاجون إلىٰ تعلُّم علمٍ ما من الفرائض مثلًا، كالصلاة والطهارة، أو إرشادٍ لخير أو حلٍّ لمشكلة إن كان يستطيع ذلك.

ز- أن ينويَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ح- أن ينويَ أن يتحصل أخًا في الله أو صاحبًا صالحًا؛ فإن المسجدَ بيتُ كلِّ تقيٍّ.

ط- أن ينويَ بذلك تَرْك الذنوب بالانقطاع في المسجد.

فقال الحسنُ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: من أدمن الاختلافَ إلىٰ المسجد (أي: الذهاب والإياب) رزقه الله إحدىٰ سبعِ خصال: أخًا مستفادًا في الله، أو رحمةً مستنزلة، أو علمًا مستطرفًا، أو كلمةً تدلُّ علىٰ هدًىٰ أو تصرفه عن رَدًىٰ (أي: هلاك)، أو يترك الذنوب خشيةً أو حياء.

فهذا طريق تكثير النيات، وتسير علىٰ هذا سائرُ الطاعات؛ إذ ما من طاعة إلا وتحمل نياتٍ كثيرة، وإنما يأتي هذا في العبد بعلمٍ وتعلُّمٍ، وبالصبر والاجتهاد في طلب الخير.

وروي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا قال: «**لَنْ يشبعَ مؤمنٌ من خيرٍ حتَّىٰ يكونَ مُنْتهاه الجنة**». الترمذي برقم (٢٦٨٦) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٤٤) برقم (٧١٧٥).

٣- المباحات: ما من شيءٍ من المباحات إلا وقد يحمل أكثرَ من نيةٍ، فيصير بها من أفضل القُرُبات عند الله. ولا ينبغي للعبد أن يتعامل مع المباحات تعامُل البهائم والأنعام، فيتعاطاها عن سهوٍ وغفلةٍ، فالتلذُّذ والتنعم في الدنيا ليس بمعصيةٍ، إلا أن العبدَ يُسأل عنه، والمباح قد ينقلب إلىٰ معصيةٍ أو إلىٰ طاعةٍ بحَسَب النية والقصد.

مثال ذلك: استعمالُ العطور للرجال عند الخروج من البيت مثلًا، فقد يَقصِد به العبدُ التلذُّذَ والتنعم، وهذا كما قلنا ليس بمعصيةٍ، ولكنه يُسأل عنه، وقد ضاع عليه الكثيرُ من الفُرَص للثواب والأجر. وقد يَقصِد بهذا المباح- وهو التطيُّب والتعطر- إظهارَ التفاخر علىٰ الناس ليدلَّ علىٰ كثرة ماله فيحسده أصحابه علىٰ ذلك، أو يقصد به الرِّياءَ والسُّمعة، بأن يُذكَر بينهم بطِيب الرائحة لتعلو مكانتُه بينهم، أو ينوي به التودُّدَ والتقرب إلىٰ النساء

الأجنبيات اللاتي لا يحللن له، فيصير فعله- وهو التطيُّب المباح- معصيةً؛ لسوء القصد والنية، فيصير بذلك وبالًا علىٰ صاحبه عند الله تعالىٰ.

وقد يقصد به نِيَّاتٍ حسنةً، كأن ينويَ به اتِّباعَ سُنَّة النبي ﷺ؛ حيث كان أطيبَ الناس ريحًا، وأن ينوي به تعظيمَ المسجد إذا دخل للصلاة واحترامَ بيت الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٣١]، فلا يدخل إلا طيِّبَ الرائحة، وأن ينوي به إدخال السرور علىٰ جيرانه في المسجد مثلًا، أو أصدقائه في العمل بمجاورتهم بتلك الرائحة الطيبة فيسعدون بها، وأن ينوي بذلك أن يدفع الرائحة الكريهة عن نفسه من أثر العرق والتعب الذي قد يضايق مُخالطيه، ويكف شرَّه عن الناس- فإنها صدقةٌ منه علىٰ نفسه. فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**». قال: قلتُ: أيُّ الرقاب أفضل؟ قال: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِها وأكثرها ثمنًا**». قال: قلتُ: فإن لم أفعل؟ قال: «**تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ** (أي: لشخص لا يستطيع صنع الأشياء بنفسه)». قال: قلتُ: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: «**تكفُّ شرَّك عن الناسِ؛ فإنها صَدَقةٌ مِنْك علىٰ نَفْسِكَ**». متفق عليه.

وقد يقصد به العبد أن يُغلِق باب الغِيبة علىٰ المغتابين الذين قد يغتابونه بالرائحة الكريهة، فيكون ذلك سببًا لمعصيتهم لله؛ فإن المتسبِّب إلىٰ الشرِّ قد يُعَدُّ شريكًا فيه بحسب نيته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٠٨]. وقد يقصد به معالجة رأسه وزيادة عقله؛ فإن الرائحةَ الزكية مفيدة للعقل، كما قال الشافعي رحمه الله: من طاب رِيحُه زاد عقله.

وهكذا يستطيع صاحبُ العلم والفَهْم والفقه ومن يُكثر الاستماع إلىٰ الفضائل والترغيب والترهيب أن يُكثر النوايا في المباحات، كما قال النبي ﷺ في الحديث: «**حتَّىٰ اللُّقْمَةُ تَضَعُهَا فِي فِي** (أي: فَم) **امْرَأَتِكَ لَكَ بِهَا صَدَقَةٌ**». متفق عليه. وعن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**». متفق عليه. وقال أيضًا ﷺ: «**فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» (أي: جماع الرجل زوجته). مسلم برقم (١٠٠٦).

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهلُ الدُّثور (أي: الأموال) بالأجور؛ يُصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول (أي: الفضل ما زاد عن الحاجة) أموالهم. قال: «**أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنكَرٍ صَدَقَةٌ. وفِي بُضْعِ أَحَدِكُم صدقةٌ**». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ له أَجْرٌ**». مسلم برقم (١٠٠٦). وهذا أيضًا مرتبط بالتفكر في الآخرة، فمن غلب علىٰ قلبه تجارة الآخرة حضرته النيات الطيبة، وإلا فلا.

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله في كتاب «الروح»: أنه قد تتشابه صورُ الأعمال الصالحة مع غير الصالحة، فمن ذلك: صورة التوكل علىٰ الله كأنها صورةُ العجز أو الضعف، وصورة النصح كأنها صورةُ التأديب أو التأنيب، وصورة حبِّ الدعوة إلىٰ الله وعلوِّ أمرِه تعالىٰ كأنها صورةُ حبِّ الرياسة والعلوِّ في الأرض والمكانة في قلوب الناس، وصورة العفو تُشبه صورةَ الذل، وصورة التواضع تُشبه صورةَ المهانة، وصورة الهدية تُشبه صورةَ الرِّشوة، وصورة الإخبار بالحال تُشبه صورةَ الشكوىٰ، فإن الأولَ من كلِّ ما ذُكر من الصور محمودٌ، والثاني من الصور مذمومٌ، فالصورة واحدة ولا فارق بينهما إلا القصد والنية.

وقال ابن المبارك رحمه الله: رُبَّ عملٍ صغير تُعظِّمه النية، ورُبَّ عملٍ كبير تُصغِّره النية.

❊ ❊ ❊